# التربية الجهادية والدروس الحربية لغزوتي بدر وأحد

د. إبراهيم حسن إبراهيم*


## مستخلص البحث:

هذه الدراسة تناولت أهم غزوتين من غزوات المسلمين وكانت كل غزوة لها دروسها التربوية ودروسها الحربية التى تستوجب الوقوف عندها والاستفادة منها في حياة المسلمين.

بعد أن تناولت في المبحث الأول الجهاد وفضله وأحكامه جعلت المبحث الثاني ومطالبه لغزوة بدر الكبرى أسبابها وملابساتها بإيجاز مركزاً على الدروس التربوية والجهادية التى جعلت المسلمين ينتصرون في هذه الغزوة.

كما تناولت بنفس القدر في المبحث الثالث غزوة أحد والتى كانت الغزوة التالية لغزوة بدر رغم أن نتيجتها كانت هزيمة المسلمين، وأيضاً تعرضت من خلال مطالب هذا المبحث للعبر والدروس المستفادة من هذه الغزوة والأسباب التى جعلت أن تكون نتيجتها هزيمة المسلمين. وأخيراً ذكرت بعض النتائج والتوصيات التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.


* أستاذ مشارك بكلية الدعوة – جامعة أم درمان الإسلامية

**Abstract:**

This study tackles the two most important invasions of Muslims and each invasion has its educational lessons and military lessons which deserve to stand before and benefit from , in Muslims life .Also he handles Jihad , its goodness and its rules .

In the second theme the researcher tackled precisely the Greater Badr Invation , its reasons and circumstances concentrating on the educational and Jihadian lessons that led to the victory of Muslims in this invation .

In the third theme the researcher tackled Ohudd Invation which followed "Badr" despite its result in which Muslims were defeated.

Here he showed lessons , benefits and reasons that led to their defeat .

Lastly the researcher concluded with some results and recommendations.

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله نبينا ورسولنا محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد...

في هذا البحث قصدت أن أتطرق لأهم غزوتين بالنسبة للمسلمين من حيث أنهما بداية الغزوات وكان فيهما من الدروس ما يفيد كثيراً من حيث الجوانب التربوية والجوانب العسكرية وكل غزوة تصلح أن تكون مدرسة قائمة بذاتها.

تناولت في الغزوة الأولى كيف أن المسلمين بدأوا يعدون ويتهيئون معنوياً للقتال واستعادة وضعهم القوى بعد ما واجهوا من قريش التعذيب والتآمر والتشريد عندما كانوا قلة وكيف أنهم صبروا وبنوا هذه القوة التى تمكنهم من مقاتلة من كانوا يحسبونهم ضعفاء ولا يقدرون على حماية أنفسهم. لذا كانت هذه الغزوة هى الاختبار الحقيقي لبث الثقة والعزة في نفوس المؤمنين ورفع روحهم المعنوية. وقد كانت كذلك إذ نصرهم الله وأيدهم بجنود لم يروها وجعل كلمة الله هى العليا، ومن خلال مباحث هذا البحث ومطالبه نتطرق لأسباب الغزوة ودروسها التربوية ودروسها الحربية، كما نتطرق للغزوة التالية لها وبها دروس تستوجب الوقوف عندها رغم أن نهايتها كانت هزيمة للمسلمين.

وحتى يستفيد المسلمون مما حدث في غزوة بدر من أحداث ودروس وعبر، كانت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون الغزوة الأولى نصراً ونشوةً وعزةً للأسباب السابقة ، وتكون الغزوة الثانية دروساً وعبراً ومراجعةً للنفس في جوانب كثيرة ومختلفة، وقد نتطرق من خلال مباحث ومطالب هذا البحث للوقوف عند أسباب الغزوة أيضاً والدروس التربوية والحربية التي نتجت عن ذلك.

كان كل هذا بعد أن تحدثت عن الجهاد وأحكامه في المبحث الأول قبل الدخول لمسرح الغزوتين ثم توصلت إلى بعض النتائج والتوصيات التي جعلتها في آخر البحث.

أسأل الله أن أكون قد وفقت لعرض بعض المشاهد التى تستحق الوقوف عليها وأسأله تعالى أن يجعل ذلك نافعاً لي ولأبناء المسلمين أجمعين والله المستعان.

## المبحث الأول

## الجهاد فضله وأحكامه

### المطلب الأول: فضل الجهاد:

فضل الجهاد عظيم لأن فيه بذل النفس تقرباً لله عزّ وجلّ واعتبر الجهاد أفضل من قيام الليل، ولقد أثنى الله عزّ وجلّ على المجاهدين ووعدهم الجنة في كثير من آياته المحكمات منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) [سورة محمد الآيات 7-8].

وقوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [سورة التوبة الآية 111].

وقوله تعالى: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [سورة آل عمران الآيات 169-170].

سأل رجل رسول الله صلي الله عليه وسلم : دلني على عمل يعدل الجهاد؟ فأجاب صلي الله عليه وسلم : "لا أجده" ثم قال صلي الله عليه وسلم : "والذي نفسي بيده لولا رجالٌ من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل"[1].

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله" (2).

وقال صلي الله عليه وسلم : "لغزوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها" (3).

وقال صلي الله عليه وسلم : "من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار" (4).

ويصف القرآن المجاهدين بالعزة والقوة في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ) [سورة الشورى الآية 39].

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائم) [سورة المائدة الآية 54].

ثم يوسع لهم حدود العزة حتى يجعلها موصولة بالله سبحانه وتعالى فيقول: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [سورة المنافقون الآية 8].

ويرفع بهم إلى مراتب الصلة الربانية فيجعلها في مقام الحب فيقول: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ) [سورة الصف الآية 4].

ويؤكد لهم بعد ذلك على النصر في الدنيا والفلاح في الآخرة فيقول: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [سورة غافر الآية 51].

وتوج الله تعالى فضل المجاهدين بهذا الوعد الكريم في قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ) [سورة التوبة الآية 11].

**المطلب الثاني: المبادئ العامة للجهاد:**

1- يعقد المسلم إسلامه عقداً مع الله، بأنه باع نفسه للجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، واشترى الله منه ذلك بالجنة. فيجب إذن على المسلم أن يوفي بما عاهد الله عليه، وأن ينفر إلى الجهاد كلما دُعي إليه وأن يؤمن بأن الله موفٍ بوعده الحق.

2- يؤمن المسلم بأنه رابح في جهاده فإن بقي حياً تكون له حسنى الجهاد وثوابه وكرامته، وإن قتل تكون له حسنى الشهادة وإن كتب للمسلمين النصر فذلك عزة لهم، وإن كتب عليه الهزيمة فهي اختبار سماوي يثاب الصابرون عليه.

3- إيمان المسلم وصدقه موضع اختبار، فإن الله يبتليه بالخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس في سبيل الله، وعليه أن يقابل ذلك بالصبر فلا يضعف في طلب العدو، ولا يهن في جهاده، وأن يعرف أن ما يلقاه في جهاده من صغيرة أو كبيرة قد كتبها الله له وأثابه عليها بأحسن الثواب.

4- شهداء الجهاد أحياء عند ربهم يرزقون ويكرمون ويمتعون بكل أسباب النعيم.

5- أجل المرء لا يتقدم لحظة ولا يتأخر عما هو مقرر في علم الله، ويجب أن يعرف المسلم أنه حينما يدركه أجله يموت، وإن الجهاد لا يقدم من أجله ولا تجنبه يؤخر منه.

6- يجب أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله بالمال والنفس، أحب إلى المسلم من كل شيء حتى أمه وأبيه وأخيه وزوجته وعشيرته وماله وتجارته.

7- يعظم أجر من يسرع إلى تلبية الجهاد بالمال والنفس في وقت الشدة والحرج.

8- الفرار من العدو لغير غاية حربية لا يغتفر.

9- الاستماتة في سبيل الله والخشية من الله واجب إلزامي على كل مجاهد.

10- التخذيل من الجهاد والتخلف عنه والتقصير فيه وعرقلته ابتغاء الفتنة وإذاعة الوساوس والدسائس والشائعات، جريمة تستحق غضب الله وعقوبته.

**المطلب الثالث: آداب الجهاد والتي يلتزم بها المجاهدون ويعملون في حدودها:**

1- المبايعة على السمع والطاعة لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) [سورة الفتح الآية 10].

2- الوفاء بالوعد الصادق في العهد لقوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) [سورة الأحزاب الآية 23].

3- الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع، لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً) [سورة الأنفال الآية 45].

4- طرد الخوف والأوهام والحزن، لقوله تعالى: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [سورة آل عمران الآية 139].

5- الإقدام والشجاعة عند اللقاء، لقوله تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) [سورة محمد الآية 4].

6- الصبر حين البأس والمصابرة عند المجالدة والمرابطة والتيقظ وتقوى الله، لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [سورة آل عمران الآية200].

7- مطاردة العدو ومتابعته حتى يتم النصر، لقوله تعالى: (وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إ) [سورة النساء الآية 104].

8- عدم التسليم، لقوله تعالى: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) [سورة محمد الآية 35].

9- عدم الفرار من المعركة لقوله تعالى: (... فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [سورة الأنفال الآيات 15-16].

10-عدم الاختلاف لقوله تعالى: (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [سورة الأنفال الآية 46].

11- عدم الخوف من العدوان لأن الله أقوى وأعز، لقوله تعالى: (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ) [سورة آل عمران الآية 175].

12- عدم التشاؤم من الهزيمة، لقوله تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ) [سورة آل عمران الآية 140].

13- الترفع عن الطمع في الغنائم، لقوله تعالى: (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [سورة آل عمران الآية 161].

14- الإيمان بأن الجهاد هو السبيل إلى الجنة، لقوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ) [سورة التوبة الآية 111].

15- إن الأجر في الجهاد على صدق النية وحسن المقابلة والوفاء بالعهد لقوله تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى) [سورة الأنفال الآية 17].

في حدود هذه المبادئ والآداب جاهد المسلمون جميعاً وأدوا بجهادهم رسالة الإسلام، وبذلوا في سبيلها كل ما يملكون، فكان كل شيء رخيصاً عند الجهاد،لا يحرص الواحد على حياته أو ماله، ولا شك أن البذل بالحياة هو غاية الحياة، وأن الجود بالنفس هو أقصى غاية الجود (5).

## المبحث الثاني

## غزوة بدر الكبرى

### المطلب الأول: ملابسات الغزوة وأسبابها:

سببها أن النبي صلي الله عليه وسلم سمع بعير تجارية لقريش قادمة من الشام بإشراف أبي سفيان بن حرب، فندب المسلمين إليها ليأخذوها عوضاً عن ما تركوا من أموالهم في مكة، فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون، إذ لم يكونوا يتصورون قتالاً في ذلك.

تحسس أبوسفيان الأمر في طريقه إلى مكة فبلغه عزم المسلمين على خروجهم لأخذ العير، فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة ليخبر قريشاً بالخبر ويستنفرهم للخروج محافظة على أموالهم فبلغ الخبر قريشاً فتجهزوا سراعاً وخرجوا قاصدين الغزو حتى أنه لم يتخلف من أشراف قريش أحد. وكانوا قريباً من ألف مقاتل. وخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في ليالٍ مضين من شهر رمضان مع أصحابه وكانوا دون الثلاثمائة. وكانت أبلهم سبعين، يتعاقب على الواحد منها اثنان أو ثلاثة من الصحابة، وهم لا يعلمون من أمر قريش وخروجهم شيئاً، أما أبوسفيان فقد أتيح له أن يحرز عيره، إذ سلك طريق الساحل إلى مكة، وجعل ماء بدر يساره وأخذ يسرع حتى أنجى عيره وتجارته من الخطر (6).

ثم أن النبي صلي الله عليه وسلم أتاه خبر مسيرة قريش إلى المسلمين، فاستشار من معه من أصحابه، فتكلم المهاجرون كلاماً حسناً وكان منهم المقداد بن عمر فقد قال: يا رسول الله، أمض لما أمرك الله فنحن معك. ولكن النبي صلي الله عليه وسلم ظل ينظر إلى القوم ويقول لهم: أشيروا عليّ أيها الناس. فقال سعد

بن معاذ: والله لكأنك لتريدنا يا رسول الله؟ قال صلي الله عليه وسلم : "أجـل". فقال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطينـاك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فأمض لما أردت فنحن معـك، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك. فـسرّ رسول الله صلي الله عليه وسلم بقول سعد، ثم قال صلي الله عليـه وسـلم : "سيروا وأبشروا إن الله قد وعدني إحدى الطـائفتين، والله لكـأنني الآن أنظـر مصارع القوم" (7).

ثم أن النبي صلي الله عليه وسلم أخذ يتحسس أخبار قريش وعددهم عن طريق العيون التى بثها حتى علم المسلمون أنهم ما بين التسعمائة والألف، وأن فـيهم عامة زعماء المشركين. وكان قد أرسل أبوسفيان إليهم أن يرجعوا إلى مكة، إذ أنه قد أحرز العير، ولكن أبا جهل أصرّ على المضي وكان قـد قـال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر فنقيم ثلاثاً فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر،

وتعرض علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا. ثم إنهم أمضوا حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى، ونزل رسول الله صلي الله عليه وسلم عند أدنى ماء من مياه بدر. فقال الحُباب بن المنذر: يا رسـول الله أرأيت هذا المنزل منزلاً أنزلك له الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه أم هو الحرب والمكيدة؟ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "بل هـو الحـرب والرأي والمكيدة". فقال: فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء القوم فتنزل، ثم نغور ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثـم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فنهض رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم وتحول إلى المكان والرأي الذى أشار به الحُباب رضي الله عنه (8).

واقترح سعد بن معاذ أن يبنى عريشاً للنبي صلي الله عليه وسلم يكون بمأمن فيه حتى يعود سالماً إلى من تخلف من المسلمين في المدينة، وأن لا ينكبوا بفقده، فوافق عليه الصلاة والسلام على ذلك، ثم أخذ يطمئن أصحابه بتأييد الله ونصره، وحتى أنه كان يقول: هذا مصرع فلان، ومصرع فلان (أي من المشركين) وهو يضع يده على الأرض ههنا وههنا .. فما تزحزح أحدهم في مقتله عن موضع يده [9].

وراح رسول الله صلي الله عليه وسلم يجأر إلى الله تعالى بالدعاء مساء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضين من شهر رمضان ويقول: "اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك فنصرك الذى وعدتني. اللهم أضعهم

الغداة. وظل يناشد الله متضرعاً خاشعاً وهو يبسط كفيه إلى السماء حتى أشفق عليه أبوبكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال له: يا رسول الله: أبشر فو الذي نفسي بيده لينجزَّنّ الله وعدك. وأقبل المسلمون أيضاً يستنصرون الله ويستغيثون ويخلصون له في الضراعة [10].

وفي صبيحة يوم الجمعة لسنتين خلتا من الهجرة بدأ القتال بين المشركين والمسلمين وأخذ النبى صلي الله عليه وسلم حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً وقال: "شاهت الوجوه، ثم نفخهم بها، فلم يبق فيهم رجلاً إلا امتلأت عيناه منها، وأيد الله المسلمين بالملائكة يقاتلون إلى جانبهم [11].

وانحسر صناديد المشركين، وأُسِر سبعون واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وألقيت جثث المشركين الذين صُرعوا في هذه الغزوة – وفيهم صناديد قريش – في قليب بدر [12].

وقام الرسول صلي الله عليه وسلم على شفة البئر فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء أبائهم يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا وجدنا ما وعدنا رَبنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟.

فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "والذى نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" (13).

واستشار النبي صلي الله عليه وسلم في أمر الأسرى فأشار عليه أبوبكر رضي الله عنه أن يأخذ منهم فدية من المال تكون قوة للمسلمين ويتركهم عسى الله أن يهديهم، وأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتلهم لأنهم أئمة الكفر وصناديده. ولكن النبي صلي الله عليه وسلم مال لما رآه أبوبكر من الرحمة بهم وافتدائهم بالمال وحكم فيهم بذلك، غير أن آيات القرآن نزلت عتاباً لرسول الله صلي الله عليه وسلم في ذلك، وتأييداً للرأي الذى رآه عمر رضي الله عنه من قتلهم، وكان ذلك في قوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [سورة الأنفال الآية 67].

**الدروس التربوية المستفادة من غزوة بدر:**

تنطوى غزوة بدر الكبرى على دروس وعظات جليلة تتضمن معجزات باهرة، تتعلق بتأييد الله ونصره للمؤمنين المتمسكين بمبادئ إيمانهم في القيام بمسئوليات دينهم ومن هذه الدلائل والدروس ما يلي:

- يدلنا السبب الأول لغزوة بدر، أن الدافع لخروج المسلمين مع رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يكن القتال والحرب، وإنما كان الدافع قصد الاستيلاء

على عير قريش القادمة من الشام تحت إشراف أبي سفيان، غير أن الله تبارك وتعالى أراد لعباده غنيمة أكبر ونصراً أعظم وعملاً أشرف وأكثر انسجاماً مع الغاية التي ينبغي أن يستهدفها المسلم في حياته كلها، فأبعد عنهم العير التي كانوا يطلبونها، وأبدلهم بذلك نفيراً لم يكونوا يتوقعونه (14).

- إن للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأبنائهم في مكة عُذراً في القصد إلى أخذ عير قريش، والاستيلاء عليها، وهو محاولة للتعويض عن ممتلكاتهم التي بقيت في مكة واستُولى عليها من ورائهم. وبالرغم من مشروعية هذا القصد فإن الله تعالى أراد لعباده المؤمنين قصداً أرفع من ذلك وأليق بوظيفتهم التي خلقوا من أجلها، ألا وهى الدعوة إلى دين الله والجهاد في سبيل ذلك والتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله. ومن هنا كان النصر العظيم حليف أبي سفيان في النجاة بتجارته بمقدار ما كانت الهزيمة العظيمة حليف قريش في ميدان الجهاد بينهم وبين المسلمين (15).

- إن التربية الإلهية لنفوس المسلمين لتتجلى بأبرز صورها في قوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) [سورة الأنفال الآية 7].

وعندما تتأمل كيف يجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى أصحابه ليشاورهم في الأمر الذي فوجئوا به بعد أن أفلتت منهم العير وطلع عليهم النفير العظيم المدجج بالسلاح الكامل، يدل ذلك على التزامه صلي الله عليه وسلم مبدأ التشاور مع أصحابه. وإذا استعرضنا حياته صلي الله عليه وسلم وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية. ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى في كل مالم يثبت نص ملزم فيه من كتاب أو سنة أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله، أما ما ثبت فيه نص فلا شأن للشورى فيه، ولا ينبغي أن يقضى عليه بأي سلطان.

ثم أن الصحيح الذى اتفق عليه عامة الفقهاء، أن هذه الشورى مشروعة ولكنها ليست ملزمة، أي على الحاكم المسلم أن يستنير بها في بحثه ورأيه ولكن ليس عليه أن يأخذ بآراء الأكثرية مثلاً لو خالفوه رأيه.

يقول القرطبي في هذا: "المستشير ينظر في اختلاف الآراء، وينظر أقربها إلى الكتاب والسنة إن أمكنه، فإن أرشده الله تعالى إلى ما شاء منها، عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه (16).

وكذلك من الدروس المستفادة، عندما يتساءل المرء لماذا لم يقع جواب أبي بكر وعمر والمقداد موقعاً كافياً من نفس رسول الله صلي الله عليه وسلم ظل ينظر في وجوه القوم حتى إذا تكلم سعد بن معاذ، اطمأن وطابت نفسه عند ذاك؟ لأن النبي صلي الله عليه وسلم إنما كان يريد أن يعرف رأي الأنصار بالذات في هذا الأمر، تري هل سيصدرون في آرائهم وأحكامهم عن المعاهدة التى تمت بينهم وبين النبي صلي الله عليه وسلم من حيث أنها معاهدة خاصة تستوجب الالتزام بها فليس من حقه أن يجبرهم على القتال معه والدفاع عنه إلا داخل المدينة كما نصت على ذلك المعاهدة؟ أم سيصدرون عن مشاعرهم الإسلامية ومعاهدتهم الكبرى مع الله تعالى، ولم يكونوا يتصورون وهم يلتزمون الدفاع عن رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما يهاجر إليهم دفاعاً عن دين الله تعالى وشريعته، فليست القضية مسألة نصوص معينة اتفقوا مع الرسول صلي الله عليه وسلم عليها، فهم لا يريدون أن يلتزموا بما ورائها وإنما المسألة أنهم بذلك إنما وقعوا تحت صك عظيم، تضمن قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) [سورة التوبة الآية 111]. ولذا كان جواب سعد رضي الله عنه: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض لما أردت فنحن معك.

ومن دروس التربية الجهادية، أنه يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره من الأمور الحربية بالعيون والمراقبين، يبثهم بين الأعداء ليكشف المسلمون خططهم وأحوالهم، وليتبينوا ما هم عليه من قوة في العدة والعدد، ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك بشرط ألا تنطوي الوسيلة على الإضرار بمصلحة هى أهم من مصلحة الإطلاع على حال العدو، ولربما استلزمت الوسيلة تكتماً أو نوعاً من المخادعة أو التحايل وكل ذلك مشروع وحسن من حيث أنه واسطة لابد منها لمصلحة المسلمين وحفظهم (17).

ومن الدروس أيضاً الحديث الذى جرى بين رسول الله صلي الله عليه وسلم والحباب ابن المنذر في شأن المكان الذى نزل فيه، يدلنا أن تصرفات النبي صلي الله عليه وسلم ليس كلها من نوع التشريع، بل هو في كثير من الأحيان يتصرف حيث أنه بشر من الناس، يفكر كما يفكر غيره، ولا ريب إننا لسنا ملزمين بإتباعه في مثل هذه التصرفات، وضمن ذلك نزوله عليه الصلاة والسلام في المكان الذي اختاره في هذه الغزوة فقد وجدنا كيف أن الحُباب أشار إليه بالتحول عنه إلى غيره ووافقه عليه الصلاة والسلام في ذلك.

ومن الدروس التي تستفاد من الغزوة أهمية التضرع لله وشدة الاستعانة به. ولقد رأينا أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم حتى أنه كان يشير عليه الصلاة والسلام إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول هذا مصرع فلان كما جاء في الحديث، ولكن مع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العريش الذي أقيم له يجأر إلى الله عزّ وجلّ داعياً ومتضرعاً، باسطاً كفيه إلى السماء يناشد ربه أن يؤتيه نصره الذي وعد حتى سقط عنه رداءه وأشفق عليه أبوبكر الصديق والتزمه قائلاً: كفى يا رسول الله فإن الله منجز لك ما وعد .وقد نصت على ذلك آيات القرآن في قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [سورة الأنفال الآية 9].

ومن الدروس التي تستفاد من الموقعة، أن بدراً قد انطوت على معجزة من أعظم معجزات التأييد والنصر للمسلمين الصادقين، فقد أمد الله المسلمين فيها بملائكة يقاتلون معهم، وهذه حقيقة تثبت بدلالة صريحة من الكتاب والسنة

الصحيحة، روي ابن هشام أن النبي صلي الله عليه وسلم خفق خفقة في العريش، ثم انتبه فقال: "أبشر أبابكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على النقيع" (18).

ونزول الملائكة للقتال مع المسلمين إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم واستجابة حسية لشدة استغاثتهم، فهم يخوضون أول تجربة قتال في سبيل الله مع كفار قريش الذين يبلغون أضعافهم في العدة والعدد. وهذه الآيات تؤكد هذا المعني في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [سورة آل عمران الآية 126].

ومن الدروس العظمى مسألة الأسرى ومشاورة الرسول صلي الله عليه وسلم في شأنهم، وما أعقبه من حكم افتدائهم بالمال، ثم نزول الآيات تعتب على النبى صلي الله عليه وسلم وعلى أصحابه اتخاذ ذلك الحكم.

فقد اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ولم تنزل فيه آيات بعد (19).

روى الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "دخلت على رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد أن قضى بافتداء الأسرى، فإذا رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبوبكر رضي الله عنه قاعدان يبكيان. فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "أبكى الذي

تحرص على عذابهم، أدنى من هذه الشجرة [20] (شجرة قريبة من النبي صلى الله عليه وسلم) وأنزل الله تعالى قوله: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ...) [سورة الأنفال الآية 76].

**الدروس الحربية والعسكرية لغزوة بدر:**

من الدروس التى يمكن الاستفادة منها من الناحية العسكرية والحربية التى طبقها رسول الله صلي الله عليه وسلم في المعركة ما يلي:

1- القيادة الموحدة: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين في معركة بدر، وكان المسلمون يعملون كيدٍ واحدةٍ تحت قيادته يوجههم في الوقت المناسب للمكان المناسب للقيام بالعمل المطلوب، وهذا واجب القائد الكفء. وكان ضبط المسلمين في تنفيذ أوامر قائدهم مثالاً رائعاً للضبط الحقيقي المتقيد [21].

2- التعبئة الجيدة: طبق الرسول صلي الله عليه وسلم في مسيرة الاقتراب من المدينة إلى بدر تشكيلاً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء، حيث كانت له مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، واستفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات وتلك هي الأساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء في العصر الحديث، أما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب "الصفوف" بينما قاتل المشركون بأسلوب الكرّ والفرّ، والفرق بين الأسلوبين هو: القتال بأسلوب الكرّ والفرّ هو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم.

3- على العدو، فإن صمد لهم العدو أو أحسوا بالضعف نكصوا، ثم أعادوا تنظيمهم وكروا، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل. أما القتال بأسلوب الصفوف يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة صفوف أو أكثر على حسب عددهم، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلحين بالنبال

لتسديدها على المهاجمين من الأعداء وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها حتى يفقد زخم المهاجمين بالكرّ والفرّ شدته عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو، وأسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ويصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد [22].

4- أما الدرس الأخير فهو حينما انهزم المشركون وتركوا وراءهم أموالهم المختلفة فقد تسابق بعض المسلمين إليها. واختلفوا مع بعضهم في كيفية استحقاقهم لها وكادوا يشتجرون على ذلك، ولم يكن قد نزل حكم توزيع الغنائم بين المقاتلين، فراحوا يسألون النبي صلي الله عليه وسلم وينهون إليه حقوقهم في الأمر، وعندئذ نزل قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [سورة الأنفال الآيات 1-2].

## المبحث الثالث

## غـــــزوة أحـــــد

### المطلب الأول: ملابسات الغزوة وأسبابها:

بعد غزوة بدر والهزيمة الكبرى لكفار قريش هنالك بقية من زعماء قريش من لم يفتدوا في غزوة بدر، أجمع رأيهم على الثأر لقتلاهم في بدر، وأن يستعينوا بعير أبي سفيان وما فيها من أموال لتجهيز قوة لقتال رسول الله صلي الله عليه وسلم فاجتمعت كلمة قريش على ذلك، وانضم إليهم غيرهم أيضاً من يسمون بالأحابيش واستعانوا بعدد كبير من النسوة كي يمنعن الرجال من الفرار إذا أحدق بهم المسلمون، وخرجوا من مكة وقد بلغوا ثلاثة ألف مقاتل. وسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم بالخبر، فاستشار أصحابه وخيرهم بين الخروج لملاقاتهم وقتالهم والبقاء في المدينة فإن دخلوا فيها قاتلوهم، فكان رأي بعض الشيوخ من المسلمين عدم الخروج من المدينة، غير أن كثيراً من الصحابة ممن لم يكن لهم شرف القتال في بدر رغبوا في الخروج. وقالوا يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ولم يزل أصحاب هذا الرأي يلحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافق على ما أرادوا فدخل بيته ولبس درعه وأخذ سلاحه. وظن الذين ألحوا على رسول الله صلي الله عليه وسلم بالخروج أنهم استكرهوه على ما لا يريد فندموا على ما كان منهم. ولماخرج عليهم قالوا: استكرهناك يا رسول الله ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "ما ينبغي لنبي إذا لبست لامته (أي درعه) أن يضعها حتى يقاتل" [23]. ثم أن النبي صلي الله عليه وسلم خرج من المدينة في ألف من أصحابه، وذلك يوم السبت لسبع ليالٍ خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من هجرته عليه السلام، حتى إذا كانوا بين المدينة

وأحد انخذل عبدالله بن أبي بثلث الجيش – وعامتهم من شيعته وأصحابه – وكرّ راجعاً بهم وهو يقول: عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له. وما ندري علام نقتل أنفسنا؟ وتبعهم عبدالله بن حرام يناشدهم الله أن لا يخذلوا نبيهم، فلم يستجيبوا لندائه. وقال زعيمهم (لو نعلم قتالاً لتبعناكم) (24).

روي البخاري رضي الله عنه أن المسلمين اختلفوا في أمر هؤلاء الذين أنخذلوا عن المسلمين، ففرقة تقول نقاتلهم وأخرى تقول دعوهم، فنزل في ذلك قوله تعالى: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ) [سورة النساء الآية 88]. واقترح بعض الصحابة الاستعانة باليهود بناء على ما بينهم من ميثاق التناصر، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك" (25).

وعسكر النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه وهم لا يزيدون على سبعمائة مقاتل في الشعب من أحد، فجعل ظهور المسلمين إلى أحد استقبلوا المدينة وجعل على الجبل خلف المسلمين خمسين رامياً، أمّر عليهم عبدالله بن جبير رضي الله

عنه وأوعز إليهم قائلاً: "قوموا على مكانكم هذه فاحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا نقفل فلا تنصرونا" (26).

وأمسك النبي صلي الله عليه وسلم بسيف فقال: "من يأخذ هذا السيف بحقه؟" فأقبل أبودجانة قائلاً: أنا آخذه بحقه. فأعطاه إياه صلي الله عليه وسلم فأخرج أبودجانة عصابةً حمراء فعصب بها رأسه، ثم راح يتبختر بين الصفوف. فقال صلي الله عليه وسلم "إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن" (27). ثم أعطى رسول الله صلي الله عليه وسلم اللواء مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان يقود ميمنة المشركين خالد بن الوليد وميسرتهم عكرمة بن أبي جهل. فاقتتل

الناس، وحميت الحرب، وراح المسلمون يحسون المشركين في اندفاع مذهل. وكان في مقدمة المبارزين والمقاتلين أبو دجانة وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير.

قتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فأخذ اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وما هو إلا أن أنزل الله نصره على المسلمين فانكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء، نساؤهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور، وتبعهم المسلمون يقتلون ويغنمون. فتكلم الرماة الذين كانوا يرابطون منهم بأن الحرب قد وضعت أوزارها، وراحوا يأخذون مع أصحابهم الغنائم، وثبت آمرهم عبدالله بن جبير مع عدد يسير قائلاً: لا أجاوز أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم ونظر خالد بن الوليد إلى إخلاء الجبل من الرماة فكرّ راجعاً بالخيل وتبعه عكرمة فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وأميرهم، واخذوا يهجمون على المسلمين من الخلف [28]. وحينئذٍ انكشف المسلمون وداخلهم الرعب وأخذ المسلمون يقتلون على غير شعار أو هدى، وأوجع المشركون في المسلمين قتالاً ذريعاً حتى خلصوا إلى الرسول صلي الله عليه وسلم فرُمي بالحجارة حتى رمي شقه وأصيبت رباعيته وشج في وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه فيمسحه وهو يقول: "كيف يُفلح قومٌ خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربه". وجاءت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم وعلى يسكب الماء من المجن. فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك [29].

وتجلى في هذه الأثناء مظهر رائع للتضحية والفداء ممن كانوا حول الرسول صلي الله عليه وسلم من الصحابة يقدمون أرواحهم رخيصة دون رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى قتل معظمهم.

روي البخاري أنه كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلي الله عليه وسلم وأبوطلحة بين يدي النبي صلي الله عليه وسلم محجوبٌ عليه "مترس بنفسه عليه" بجحفة له (ترس من جلد) وكان أبو طلحة – رجلاً رامياً شديد النزع يشرف النبي صلي الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبوطلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهمٌ من سهام القوم ، نحري دون نحرك [30]. وترس أبو دجانة نفسه دون رسول الله صلي الله عليه وسلم والنبل يتلاحق في ظهره

وهو منحنٍ على الرسول لا يتحول. وترس زياد بن السكن نفسه دون رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى قتل وخمسة من أصحابه وكان آخرهم عمار بن يزيد بن السكن، فقاتل دونه عليه الصلاة والسلام حتى أثخنته الجراح، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "أدنوا مني، فوسَّده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم [31].

ثم إن الحرب هدأت بين الطرفين، انحسر المشركون منصرفين وقد زهوا بالنصر الذي أحرزوه وفزع الناس لملاقاتهم، وأستشهد عددٌ من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان فيهم حمزة بن عبد المطلب وأنس بن النضر، ومصعب بن عمير، وعدد كبير غيرهم، وقد تأثر النبي صلي الله عليه وسلم لقتل عمه تأثراً كبيراً وقد مُثِّل به، فبقِرت بطنه وجدعت أنفه وأذناه. وأخذ النبي صلي الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من القتلى في ثوبٍ واحد ثم يقول: "أيهم أكثر أخذاً للقرآن" فإذا أشير له إلى أحدهم قدمه في اللحد. وقال: "أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة". وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلِّ عليهم ولم يغسلوا [32].

انصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم من أُحد مساء السبت فبات تلك الليلة في المدينة هو وأصحابه، وبات المسلمون يداوون جرحاهم، فلما صلى رسول الله صلي الله عليه وسلم الصبح يوم الأحد، أمر بلالاً أن ينادي أن رسول الله

صلي الله عليه وسلم يأمركم بطلب العدو ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس. ودعا رسول الله صلي الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه إلى علي رضي الله عنه وخرج القوم وهم ما بين مجروح ومشجوج، حتى عسكروا بحمراء الأسد (مكان من المدينة على بعد عشرة أميال) فأوقد المسلمون هناك نيراناً عظيمة حتى تري من المكان البعيد، وتوهم كثرة أصحابها، ومرّ بهم معبد بن معبد الخزاعي (وكان يومئذٍ من مشركي خزاعة) ثم تجاوزهم، فمرّ على المشركين ولهم رجلٌ ومرحٌ وزهوٌ بالنصر الذي لاقوه في أحد وهم يأتمرون بالرجوع إلى المدينة للقضاء على المسلمين. وصفوان بن أمية ينهاهم، فلما رأى أبو سفيان معبد قال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: ويحكم إن محمداً قد خرج بأصحابه ليطلبكم في جمع لم أر مثله فأدخل ذلك رعباً عظيماً في قلوب المشركين وهبوا مسرعين عائدين إلى مكة. وأقام النبي صلي الله عليه وسلم في حمراء الأسد الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة (33).

**الدروس التربوية المستفادة من غزوة أحد:**

تنطوي غزوة أحد على دروس بالغة الأهمية للمسلمين في كل عصر وكأن الحكمة من وقوعها على الشكل الذي بيناه أن يكون منها درس تطبيقي عملي يعلم المسلمين كيفية البلوغ إلى النصر في معاركهم مع العدو، وكيفية التحرر من مزالق الفشل والهزيمة، فلنقف على هذه الدروس العظيمة ولنتأمل فيها:

1. يتجلى مبدأ الشورى الذي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يأخذ به نفسه مع أصحابه في كل أمر يحتمل المشاورة والبحث، رغم أننا نري أنه عليه الصلاة والسلام لم يشأ أن يعود عن موافقة أصحابه الذين اقترحوا الخروج للقاء

2. العدو خارج المدينة. بعد أن لبس درعه وأخذ أهبته للقتال، لعل الحكمة الجليلة في ذلك أن البحث في الأمر بعد أخذ العدة للقتال، وبعد ظهور النبي

صلي الله عليه وسلم في قومه وأصحابه لابساً درعه وآخذاً سلاحه ، شيء خارج حدود ما يقتضيه مبدأ التشاور خصوصاً في القضايا الحربية التى تحتاج إلى قدر كبير من الحزم والعزم، وأي تقاعس بعد ذلك إنما هو الضعف والاضطراب في الإرادة، وهو كثيراً ما يكون نابعاً من الخوف والحذر الذى لا معني له. ولذلك أجابهم صلي الله عليه وسلم على كلامهم بعبارة فيها كل الحزم والعزم دون أن يلتفت إلى لغو القوم وتعاتبهم فيما بينهم فقال: "ما ينبغي لنبي لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل".

3. للمنافقين في هذه الغزوة مشهد بارز وقد انطوت هذه على حكم ومقاصد من أهمها تمحيص المؤمنين على أخلاطهم من المنافقين، وأن وراء ذلك لفوائد كبيرة للمسلمين كانت ذخراً لهم فيما بعد، ولقد رأينا كيف أنخذل عبد الله بن أبي سلول بثلاثمائة من أتباعه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد خروجهم من المدينة. وسبب ذلك في ظاهره ما تذرع به أن النبي صلي الله عليه وسلم أخذ برأي الشبان والأغرار ولم يأخذ برأي أمثاله من الشيوخ أرباب الحجا والأحلام، غير أن سبب ذلك في الحقيقة وواقع الأمر هو أنه لا يريد قتالاً لأنه لا يريد أن يعرض نفسه لمخاوفه ومغباته. وتلك هي أبرز سمات المنافقين [34].

4. لم يشأ النبي صلي الله عليه وسلم أن يستعين بغير المسلمين في هذه الغزوة رغم قلة عدد المسلمين وقال فيما روي ابن معبد في طبقاته (لا تستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك).

5. تتضح البراعة العسكرية التي اتصفت بها قيادة رسول الله صلي الله عليه وسلم في الحروب فقد كان في مقدمة المخططين لفنون القتال وطرائقه ونري ذلك في كيفية تنظيمه صفوف المقاتلين وترتيب أجنحتهم ويضع الحماية اللازمة في مؤخرة المقاتلين ويأمر الرماة أن لا يغادروا أماكنهم مهما وجدوا من أمر أخوانهم المقاتلين، ولا ريب أن الله تعالى قد جهزه بعبقرية نادرة في هذا المجال

والمتأمل لتوصياته صلي الله عليه وسلم الدقيقة لأصحابه عامة، وللرماة خاصةً كأنه قد استشف بفراسة النبوة أو بوحي من الله تعالى هذا الذى حدث فيما بعد، فراح يؤكد التوصيات والأوامر وكأنه في ذلك يجرى مع أصحابه مناورة حية مع عدوٍ لهم، وهو النفس وأهواءها وما تنطوي عليه من طمع في المال والغنائم.

6. الجزء الأول من المعركة التزم فيه المسلمون أماكنهم وأوامرهم التى كانوا قد تلقوها من قائدهم عليه الصلاة والسلام، وكان ثمرة ذلك أن سارع النصر للمسلمين وسارعت الهزيمة إلى صفوف المشركين. أما الجزء الثاني من المعركة حين أخذ المسلمون ينطلقون خلف المشركين ليجهزوا على من يلحقون به منهم وليأخذوا الغنائم والأسلاب مما جعل الرماة يهرعون لينالوا نصيبهم مع

7. أخوانهم من الغنائم وتركوا الجبل بعد أن كان محصناً الأمر الذي جعل أسباب الحيلة والمكر تتفتح لدي قائد المشركين خالد بن الوليد، فلمعت الفكرة العسكرية في رأسه واستدار إلى الجبل مع من معه من المشركين وانقلبت موازين المعركة ويصور ذلك قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) [سورة آل عمران الآية 152].

8. في هذه الغزوة فقد أُوذي النبي صلي الله عليه وسلم كثيراً فوقع الشقاق، وشج رأسه وكُسرت رباعيته، وساح الدم غزيراً في وجهه، ولكن أن يشيع خبر مقتل رسول الله صلي الله عليه وسلم في صفوف المسلمين كان له أعظم وأبلغ الأثر في نفوسهم حيث كان ارتباطهم برسولهم ووجوده بينهم كان من القوة بحيث لم يكونوا يتصورون فراقه، ولم يكونوا يتخيلون قدرةً لهم على التماسك من بعده، فكان أمر وفاته أمراً لا يخطر لهم علي بال. فكانت من الحكمة الباهرة أن تشيع هذه الشائعة كتجربة دراسية بين تلك الدروس العسكرية العظيمة كي

يستفيد المسلمون من ورائها إلى الحقيقة التي ينبغي أن يوطنوا أنفسهم منذ الساعة وألا يرتدوا على أعقابهم إذا وجدوا رسول الله صلي الله عليه وسلم قد اختفى من بينهم . ومن أجل بيان هذا الدرس نزلت الآيات تعليقاً على ذلك في قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) [سورة آل عمران الآية 144]. وقد اتضح الأثر الإيجابي لهذا الدرس يوم لحق رسول الله صلي الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، فقد كانت شائعة أحد هذه وما نزل بسببها من القرآن هو الذي أيقظ المسلمين ونبههم إلى الحقيقة، فودعوا رسول الله صلي الله عليه وسلم بقلوبهم الحزينة، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها بين أيديهم، أمانة الدعوة والجهاد في عقيدتهم وتوكلهم على الله تعالى [35].

**الدروس الحربية والعسكرية لغزوة أحد:**

من أسباب خسائر المسلمين [36]:

1. عدم المطاردة: وهذا تعبير يقصد به تعقب القوات المعادية المنسحبة لإحداث خسائر فيها ومحاولة قلب انسحابها إلى هزيمة.

2. مخالفة الأوامر، يظهر ذلك في مخالفة الرماة وترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم وهو خطأ كبير إذ كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد بن الوليد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف.

3. أسلوب المباغتة: وهو مبدأ من أهم مبادئ الحرب ومعناها ضرب العدو من مكان أو زمان أو بأسلوب لا يتوقعه بحيث يمكن تحطيم قوة العدو المادية والمعنوية لذا كان قيام خالد بن الوليد بالالتفاف وراء المسلمين في الوقت الذى انهزم فيه المشركون، مباغتةً تامة للمسلمين فأربكت صفوفهم بدرجة لم يفرقوا معها بين قوات عدوهم وقواتهم، فقتل بعضهم بعضاً، كما تحطمت معنويات الكثير منهم وأصبحوا لا يعرفون ما يصنعون.

**من أهم النتائج والتوصيات:**

هنالك دروس مستفادة من هاتين الغزوتين ونتائج لابد من الوقوف عندها منها:

1. معركة انتصر فيها المسلمون وأخرى تلقوا فيها الهزيمة، وذلك حتى يعلم المسلمون أن النصر له أسبابه : من إعداد واستعداد ولا يتأتى سهلاً فلابد من أخذ الحيطة والحذر والإقدام والاستعداد والاعتماد على الله بعد أن يبذلوا ما في وسعهم أما إذا ما استهانوا بالعدو وانخدعوا وظنوا أن النصر حليفهم في كل الظروف فإن مصيرهم الهزيمة والخسارة.
2. إن الله ينصر عباده المخلصين بعد أن يقدموا كل ما في وسعهم ، وأنَّ الملائكة يحاربون معهم إذا ما صدقا وأخلصوا النية لله.
3. على المسلمين عدم الانشغال بالغنائم والمكاسب والجري خلفها لأنها مطامع الدنيا وغمزات الشيطان، وقد أوضح الله أمر توزيعها لرسوله صلي الله عليه وسلم ولا يحتاج الأمر إلى سباق وطمع وحب للذات ولم تكن الغنائم أصلاً سبباً للحروب والقتال، إنما السبب والهدف هو انتشار الإسلام ونشر الدعوة وتوصيلها لكافة الناس.
4. على المسلمين الحذر ثم الحذر من فئة المنافقين وإخوانهم المخذلين وكافة الطوائف المنهزمة والى تسعى دوماً لتعطيل انتشار الإسلام.
5. على المسلمين أن يعوا أن الإسلام دين قوة ودين حرب وجهاد متى ما دعا الأمر لذلك وعليهم الإعداد والاستعداد دائماً.
6. لابد من الوقوف عند الوعي الحربي والحس الأمني واليقظة والحذر التي تمثلت في قائد الجيوش رسول الله صلي الله عليه وسلم وصحابته فهو القائد الحربي الأول والمقاتل الجسور والقائد الصبور والداعية الوقور.
7. على المسلمين أن يهتموا بهذه الغزوات ودروسها التربوية والحربية وأن تكون ضمن مناهج التعليم بالمدارس الحكومية حتى يستفيد طلاب المسلمين من هذه الدروس في حياتهم وتكون دافعاً لهم وفخراً وليعلموا أن هذا الدين هو دين قوة ودين منطق ودين حجة ودين علم وعمل.

والله المستعان،،،

**الهوامش والمراجع:**

1. صحيح البخاري: بحاشية السندي للعلامة المدقق أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه: كتاب الجهاد، ج2، ص 136.
2. صحيح البخاري المرجع أعلاه، ج2، ص 136.
3. صحيح البخاري المرجع أعلاه، ج2، ص 136.
4. صحيح البخاري المرجع أعلاه، ج2، ص 136.
5. المدرسة العسكرية، محمد فرج: ص 180.
6. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي: ص 28.
7. صحيح مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بشرح كتاب الجهاد والسير، ج3، ص 1357، دار إحياء التراث العربي بيروت/ لبنان.
8. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي: مرجع سابق، ص 28.
9. صحيح مسلم، مرجع سابق، ج6، ص 17.
10. السيرة النبوية ، ابن هشام: (عبدالملك بن هشام) دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1408هـ، 155/2 (حديث استغاثة الرسول في بدر) متفق عليه.
11. السيرة النبوية، ابن هشام: مرجع سابق، (حديث تأييد الله بالملائكة في بدر) متفق عليه.
12. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي: ص 30.
13. صحيح البخاري – مرجع سابق ج5، ص 8.
14. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي: ص 32.
15. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي: ص 32.
16. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبي عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن فرج أبوعبدالله الأنصاري القرطبي المتوفي سنة 671هـ – 1273م. مؤسسة مناهل العرفان/ بيروت، ج4، ص 252.

17. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي: ص 32.
18. السيرة النبوية، ابن هشام: مرجع سابق، (رواه البخاري).
19. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي: ص 40.
20. صحيح مسلم: مرجع سابق، ج6، ص 158.
21. الرسول القائد ، محمود شيت خطاب: ص 79.
22. الرسول القائد ، محمود شيت خطاب: مرجع سابق، ص 84.
23. سيرة ابن هشام: مرجع سابق.
24. طبقات ابن سعد: ج3، ص 87.
25. صحيح البخاري: مرجع سابق، ج5، ص 21.
26. طبقات ابن سعد: مرجع سابق، ج3، ص 87.
27. سيرة ابن هشام، ابن هشام: مرجع سابق، ج1، ص 23.
28. سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ج3، ص 83.
29. متفقٌ عليه بألفاظ متضاربة.
30. صحيح البخاري، مرجع سابق، ج5، ص 23.
31. سيرة ابن هشام: مرجع سابق، ج1، ص 223.
32. صحيح البخاري، مرجع سابق، ج5، ص 49.
33. طبقات ابن سعد – سيرة ابن هشام: مرجع سابق، ج3، ص 80.
34. طبقات ابن سعد – سيرة ابن هشام: مرجع سابق، ج3، ص 80.
35. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان: مرجع سابق، ص 66.
36. الرسول القائد: محمود شيت خطاب، مرجع سابق، ص 121.